المؤتمر العلمي الأول
لطلاب المرحلة الجامعية والدراسات العليا
الجامعة الأسمرية الإسلامية 1445هـ- 2023م

التمكين في ضوء القرآن الكريم: دراسة موضوعية

إيهاب صالح الشريف*، ناجي فرج التكوري

قسم التفسير والحديث، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الأسمرية الإسلامية، زليتن، ليبيا.

*البريد الإلكتروني: hdshoo3@gmail.com

Empowerment in The Light of The Holy Quran: An Objective Study

Ihab Saleh Al-Sharif* and Naji Faraj Al-Takuri

Department of Interpretation and Hadith, Faculty of Da'wah and Fundamentals of Religion, Alasmarya Islamic University, Zliten, Libya.

الملخص

قد كان القرآن الكريم ولم يزل منبعاً للعلوم ونبراساً للفنون، احتوى في طيّاته إلى ما فيه صلاح البشرية كيف لا؟ وهو منزل من عند رب البرية، فقد أصل للمواضيع عديدة تمسّ الواقع الإنساني، ومن أهمها موضوع التمكين الذي ساهم بشكل كبير في توسع رقعة الإسلام خلال فترة قياسية من الزمن، لذلك، أثرنا البحث في هذا الموضوع محاولين إبراز أهم جوانبه والربط بين آياته وفق تفسير العلماء له.

يتطرق البحث إلى دراسة الآيات التي ذكر فيها التمكين سواء بصريح العبارة والإشارة، ووضع تعريف جامع مانع له مع بيان شروطه وأسبابه وأنواعه وأهدافه، ودراسة بعض النماذج التي تناولها القرآن الكريم. يهدف البحث للوصول إلى المفهوم الصحيح لمعنى التمكين وتطبيقاته الواقعية، ومعرفة دوران لفظة التمكين ومعانيها في القرآن الكريم، مع محاولة تسليط الضوء على الوضع الراهن للمسلمين والأسباب التي أدت إلى نزع التمكين عنهم، ودراسة بعض النماذج القرآنية حول الموضوع وربطها بالواقع المُعاش. وقد اشتمل البحث على مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهارس. المقدمة وذكر فيها سبب اختيار البحث، وأهداف البحث، وإشكالية البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، ومنهجية البحث، وخطة البحث. المبحث الأول: مفهوم التمكين، ويندرج تحته ثلاثة مطالب. المبحث الثاني: جوانب التمكين، ويندرج تحته ثلاثة مطالب. المبحث الثالث: بعض نماذج التمكين في القرآن الكريم، ويندرج تحته مطلبان. الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات المستفادة من هذا البحث.

الكلمات الدالة: التمكين، القرآن الكريم، نماذج التمكين.

Abstract

The Holy Qur'an was, and still is, a source of science and a beacon for the arts. It contains within its folds what is for the benefit of humanity. How could it not? It was sent down from the Lord of the wilderness. It has been the source of

many topics that affect human reality, the most important of which is the topic of empowerment, which contributed greatly to the expansion of Islam over a record period. So, we influenced research on this topic, trying to highlight its most important aspects and link its verses according to the scholars' interpretation of it.

The research addresses the study of the verses in which empowerment is mentioned, both explicitly and implicitly, and develops a comprehensive definition of it, explaining its conditions, causes, types, and goals, and studying some of the examples addressed in the Holy Qur'an. The research aims to reach the correct concept of the meaning of empowerment and its realistic applications, and to know the role of the word empowerment and its meanings in the Holy Qur'an, while trying to shed light on the current situation of Muslims and the reasons that led to the removal of empowerment from them, and to study some Qur'anic models on the subject and link them to the lived reality. The research included an introduction, three sections, a conclusion, and indexes. The introduction included the reason for choosing the research, the research objectives, the research problem, previous studies, the research approach, the research methodology, and the research plan. The first section is the concept of empowerment, which includes three demands. The second section: Aspects of Empowerment, includes three demands. The third topic: Some examples of empowerment in the Holy Qur'an, and two requirements fall under it. Conclusion: It includes the most important results and recommendations learned from this research.

Keywords: *Empowerment, The Holy Quran, Models of empowerment.*

المقدمة

الحمد لله القوي الجبار، المتكبر المتعال، مكَّن لِدِينه القويم، ووعد المتمسكين به بالنصر والتمكين، القائل في كتابه الكريم: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا...﴾ [النور: 55]، ثم الصلاة والسلام على إمام المرسلين وسيد ولد آدم أجمعين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن الناظر في واقع دولنا المسلمة اليوم يجد أن المسلمين أصبحوا في آخر الأمم، بل أصبحوا عالة على العالم ليس لهم هيبة ولا سلطان، وإن الناظر والمتفحص في أسباب هوان المسلمين اليوم يجد أنهم فقدوا شروط التمكين في الأرض فهوى بهم الحال إلى ما نرى، ومن هذا الباب آثرنا البحث في موضوع التمكين في كتاب الله تعالى، محاولين في ذلك دراسة مفهوم التمكين من جُل جوانبه، وسيكون عنوان البحث إن شاء الله (التمكين في ضوء القرآن الكريم) دراسة موضوعية.

أسباب اختيار الموضوع:

- الرغبة في البحث عن هذا الموضوع وإبراز جوانبه وفق تأصيل القرآن الكريم له.
- الوضع الراهن لحال المسلمين والبحث عن بعض أسباب الأزمة والحلول الناجعة.
- محاولة إيضاح وتبسيط موضوع التمكين.
- محاولة وضع اليد على موضع الألم وتشخيص الوضع.

أهداف البحث:

- الوصول إلى المفهوم الصحيح لمعنى التمكين وتطبيقاته الواقعية.
- معرفة دوران لفظة التمكين ومعانيها في القرآن الكريم.
- محاولة تسليط الضوء على الوضع الراهن للمسلمين وأسباب عدم التمكين.
- دراسة بعض النماذج التي تناولها القرآن الكريم في موضوع التمكين، وربطها بالواقع المُعاش.

إشكالية الموضوع:

- الرغبة في البحث عن هذا الموضوع وإبراز جوانبه وفق تأصيل القرآن الكريم له.
- الوضع الراهن لحال المسلمين والبحث عن بعض أسباب الأزمة والحلول الناجعة.
- محاولة إيضاح وتبسيط موضوع التمكين.
- محاولة وضع اليد على موضع الألم وتشخيص الوضع.

أهمية البحث:

بعد اطلاعنا على ما كُتب سابقاً في موضوع التمكين وقفنا على بعض المؤلفات التي تناولت موضوع التمكين استقلالا، أو في باب من أبوابها، ومن أبرز هذه المؤلفات:

- التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم، لمحمد يوسف، دار السلام، مصر، الطبعة الثالثة، 2003م.
- فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، لعلي الصلاّبي، دار المعرفة، بيروت/لبنان، الطبعة الخامسة 1430هـ- 2009م.
- بحث علمي بعنوان، سنة التمكين في ضوء القرآن الكريم، رمضان خميس الغريب.

منهج البحث:

سلك هذا البحث المنهج الاستقرائي في جمع الآيات التي ذُكر فيها التمكين ضمنا، والمنهج الاستنباطي التحليلي في ربط الآيات بموضع التمكين، وتفسيرها على ضوء فهم المُفسرين لها.

منهجية البحث:

- الاعتماد على أهم مصادر التفسير المعتمدة.
- التعليق على أقوال المفسرين لزيادة إيضاح المعنى.
- كما تم الاعتماد في تخريج الأحاديث على الصحيحين، فإن لم يوجد فيهما يتم الانتقال إلى غيرهما من مصادر الحديث، والاكتفاء بعزوها لمصدر واحد مع الحكم عليه من كتب المحدثين.
- لم يتم الترجمة للأعلام المذكورين في البحث.

خطة البحث:

اشتمل البحث على مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة: وذكر فيها سبب اختيار البحث، وأهداف البحث، وإشكالية البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، ومنهجية البحث، وخطة البحث.

المبحث الأول: مفهوم التمكين وعلاقاته، ويندرج تحته ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: تعريف التمكين لغة وفي اصطلاح القرآن الكريم.

المطلب الثاني: تعريف التمكين كمصطلح علمي

المطلب الثالث: أنواع التمكين.

المبحث الثاني: جوانب التمكين، ويندرج تحته أربعة مطالب:

المطلب الأول: شروط التمكين.

المطلب الثاني: أسباب التمكين.

المطلب الثالث: الأسباب المؤدية لانتزاع التمكين.

المبحث الثالث: بعض نماذج التمكين في القرآن الكريم، ويندرج تحته مطلبان:

المطلب الأول: ذو القرنين.

المطلب الثاني: فرعون.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات المستفادة من هذا البحث.

الفهارس المصادر والمراجع.

وهذا ما يسَّره الله في هذا البحث سائلا المولى -عز وجل- التوفيق والسداد وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، راجين من الله التوفيق والقبول، وأن يعم بفضله النفع ويعظم بجوده الأجر إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المبحث الأول: مفهوم التمكين وعلاقاته

المطلب الأول: تعريف التمكين لغة وفي اصطلاح القرآن

أولاً: التمكين لغة

مصدره من فعل مَكَّنَ،" مَكَّنَهُ اللَّهُ مِنَ الشَّيْءِ تَمْكِينًا، وَأَمْكَنَهُ مِنْهُ بِمَعْنًى، وَتَمَكَّنَ مِنْهُ بِمَعْنًى، وَاسْتَمْكَنَ الرَّجُلُ مِنَ الشَّيْءِ، وَفُلَانٌ لَا يُمْكِنُهُ النُّهُوضُ أَيْ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ"[1]

"وَمَكَّنْتُهُ مِنْ الشَّيْءِ تَمْكِينًا جَعَلْتُ لَهُ عَلَيْهِ سُلْطَانًا وَقُدْرَةً فَتَمَكَّنَ مِنْهُ، وَاسْتَمْكَنَ قَدَرَ عَلَيْهِ، وَلَهُ مَكِنَةٌ أَيْ قُوَّةٌ وَشِدَّةٌ، وَأَمْكَنَنِي الْأَمْرُ سَهُلَ وَتَيَسَّر"[2]

وَيُقَالُ: النَّاسُ عَلَى مَكَنَاتِهِمْ، أَي عَلَى اسْتِقَامَتِهِمْ"[3].

ثانياً: التمكين في اصطلاح القرآن الكريم

ورد التمكين في اصطلاح القرآن الكريم بمعان مختلفة، تختلف باختلاف السياق، وترجع في المجمل إلى خمسة معان وهي: المكان، والقدرة، والتصرف، والمكانة، والملك، والاستقرار.

وفيما يلي بيان هذه المعاني وما يدل عليها من القرآن الكريم مدعوما بأقوال المفسرين:

أ) التمكين بمعنى المكان: ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا... ﴾[القصص: 57].

قال الطبري: "أي جعلنا لهم مكاناً حرّمنا على الناس سفك الدماء فيه ومنعناهم من أن يتناولوا سُكانه فيه بسوء[4].

ب) التمكين بمعنى القدرة والتصرف: ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: 10].

---

[1] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، مج(6)، ص(2206)، مادة (مكن).

[2] المصباح المنير للفيومي، مج (2)، ص (577)، مادة (مكن).

[3] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، مج (6)، ص (2206)، مادة (مكن).

[4] ينظر: جامع البيان للطبري، مج (19)، ص (601)، والتحرير والتنوير لابن عاشور، مج (7)، ص (137).

قال ابن عاشور: "أي جعلنا لكم قدرة، وأقدَرناكم على أمور الأرض وخوّلناكم التّصرف في مخلوقاتها"[1].

ج) التمكين بمعنى المكانة: ومنه قوله تعالى ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: 20].

قال ابن كثير: "أي له عند الله عز وجل مكانة ومنزلة رفيعة، والمقصود به جبريل -عليه السلام-"[2].

د) التمكين بمعنى الملك: ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف: 84].

قال ابن كثير: "أي أعطيناه ملكا عظيما متمكنا فيه له من جميع ما يؤتى الملوك، من التمكين والجنود، وآلات الحرب ولهذا ملك المشارق والمغارب من الأرض، والمقصود به ذو القرنين"[3].

هـ) التمكين بمعنى الاستقرار: ومن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ [المؤمنون: 13].

قال الطبري: "والقرار المكين هو حيث استقرّت فيه نطفة الرجل من رحم المرأة، ووصفه بأنه مكين؛ لأنه مكن لذلك، وهيأ له ليستقرّ فيه إلى بلوغ أمره الذي جعله له قرارا"[4].

المطلب الثاني: التمكين كمصطلح علمي

لم نقف -فيما اطلعنا عليه- على تعريف اصطلاحي للتمكين كمصطلحٍ علمي عند المتقدمين، ووجدنا بعض التعريفات عند المعاصرين وأقرب هذه التعريفات للموضوع تعريفان هما:

عرفه محمد يوسف بأنه: "دراسة الأسباب التي أدت إلى زوال التمكين عن الأمة الإسلامية، والمقومات التي بها ترجع الأمة إلى التمكين، والعوائق التي تعترض العمل للتمكين، ودراسة طبيعة الطريق إلى التمكين وكذلك المبشرات على هذا الطريق، وذلك كله في ضوء القرآن الكريم مع الاستعانة بأحاديث النبي العظيم -ﷺ-"[5].

وعرفه علي الصلابي بأنه: "هو السعي الجاد من أجل رجوع الأمة إلى ما كانت عليه من السلطة و النفوذ والمكانة في دنيا الناس"[6].

وعند النظر لهذين التعريفين نجد أنهما أقرب للدراسة الموصلة للتمكين منها إلى تعريف اصطلاحي، وأن التعريفات السابقة خاصة بالتمكين للأمة الإسلامية دون غيرها من الأمم، وعلى ضوء

---

[1] التحرير والتنوير، مج(8)، ص(33).

[2] ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، مج(8)، ص(337).

[3] المصدر السابق، مج(5)، ص(171).

[4] جامع البيان للطبري، مج(19)، ص(16).م

[3] التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم لمحمد يوسف، ص(13).

[6] فقه النصر والتمكين للصلابي، ص(18).

تناول القرآن الكريم للفظ التمكين، ومن خلال المعان التي أظهرها المفسرون، ومن خلال اطلاعنا وضعنا تعريفاً نظنه جامعا لمعنى التمكين وهو: **حالة من الهيمنة والاستقرار، والقدرة على التحكم بالأمور وتوظيفها، وفق شروط ومعايير معينة.**

المطلب الثالث: أنواع التمكين

عند النظر في مقصود التمكين في القرآن الكريم تجد أن القرآن تناوله من جميع الجوانب، وبيّن أن له أنواعا وعلاقات وثيقة بمعاني وقضايا أخرى لا تقل أهمية عنه، وسأشرع ببيان هذه الأنواع وفق سرد القران الكريم لها، وهو نوعان:

- تمكين وعد (الحقيقي).
- تمكين مرحلة (اختبار).

أولاً: تمكين وعد (الحقيقي): وهو أقوى النوعين وأكثرهما تكاملا بل وأطولهما عمراً، وقد ذكره الله تعالى في قوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ...﴾ [النور: 55].

قال البيضاوي: "(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات) خطاب للرسول -ﷺ- وللأمة ولمن معه، و(من) للبيان، (ليستخلفنهم في الأرض) ليجعلنهم خلفاء متصرفين في الأرض تصرف الملوك في مماليكهم، وهو جواب قسم مضمر تقديره وعدهم الله وأقسم ليستخلفنهم، أو الوعد في تحققه منزل منزلة القسم، (كما استخلف الذين من قبلهم)، يعني بني إسرائيل استخلفهم في مصر والشام بعد الجبابرة، (وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم) وهو الإسلام بالتقوية والتثبيت،(يعبدونني) حال من الذين لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد، أو استئناف ببيان المقتضي للاستخلاف والأمن، يعبدونني غير مشركين، ومن ارتد أو كفر هذه النعمة، بعد ذلك كبعد الوعد أو حصول الخلافة،(فأولئك هم الفاسقون) الكاملون في فسقهم حيث ارتدوا بعد وضوح مثل هذه الآيات، أو كفروا تلك النعمة العظيمة"[1].

فهذا النوع يفترض قوما صدقوا الله في أن يستكملوا صفات وشروطا اشترطها الله، فلما استكملوها بقدر طاقتهم، منّ الله عليهم، وأنجز لهم وعده، واستخلفهم في الأرض، ومكن لهم دينهم كما استخلف ومكن للأمم التي قبلهم، ثم بين الله تعالى لهم الغاية والمقصد من هذا التمكين بقوله :﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا... ﴾ وهو شرط ليتحقق لهم الوعد، وهو المقصد الذي من أجله نالوا

[1] أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي، مج(4)، ص(112-113).

التمكين، بل من أجله خلقوا، وهو التوحيد، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56].

وهذا النوع هو ما تحقق للمسلمين وامتد من عهد النبي-ﷺ- والصحابة إلى وقت سقوط الخلافة العثمانية، ولما قصر المسلمون في شروطه، وفقدوا صفاته انتزع الله منهم هذا التمكين.

قال محمد رشيد رضا: "وقد صدق الله هذه الأمة وعده ووفى لها، كما وفى لمن قبلها، ثم سلبها جل ما أعطاها كما عاقب بذلك سواها، إذ نقضت عهدها كما نقضوا، وفسقت عن أمر ربها كما فسقوا، واغترت بنسبها وكتابها كما اغتروا"[1].

فعلى المسلمين اليوم تجديد النية، وتحقيق العبودية كاملة لله -سبحانه وتعالى-، مقتدين بسلفهم، عاملين بمقتضى كتاب ربهم، وسنة نبيهم، حتى يمُنَّ الله عليهم كما من على سلفهم من الأمة، وأن يبذلوا قصارى جهدهم لأحياء هذا التمكين من جديد، ولله در القائل:

وَمَا نَيْلُ المَطَالِبِ بِالتَّمَنِّي ... وَلَكِنْ تُؤْخَذُ الدُّنْيَا غِلَابَا

وَمَا اسْتَعْصَى عَلَى قَومٍ مَنَالٌ ... إِذَا الإِقْدَامُ كَانَ لَهُمْ رِكَابَا.[2]

ثانياً: تمكين مرحلة (اختبار)

وهذا النوع خلاف الأول، فهو تمكين اختبار، وهو يفترض قوما نالوا التمكين بدون أن تتحقق فيهم صفات وشروط التمكين، إنما أعطى الله هذا التمكين اختبارا وابتلاءً منه لينظر كيف يعملون، وهذا ما جرى لبني إسرائيل في بداية أمرهم، عندما اشتكوا لموسى -عليه السلام- بطش فرعون، وأنه لايزال مستمرا في إيذائهم من قبل إرسال - موسى عليه السلام- وبعد إرساله، قال تعالى على لسانهم ﴿قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ...﴾ [الأعراف: 129]، فأجابهم موسى -عليه السلام- بقرب أن يكونوا هم الذين يرثون ملك الأرض وتكون لهم العاقبة :﴿ قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 129]، هذه الآية تصور لنا مشهد بني إسرائيل وهم لايزالون تحت سلطان فرعون، أي أنهم لم تتهيأ لهم أسباب التمكين بعد، ولم يتصفوا بصفاته، ولم يحققوا شروط التمكين، فقد بشروا به لغرض معين ﴿فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾، وهو الاختبار[3].

---

[1] الخلافة، لمحمد رشيد رضا، ص(8).

[2] شرح ديوان أحمد شوقي لأحمد حوفي، مج(1)، ص(609).

[3] ينظر: تفسير القرآن العظيم، مج(3)، مج(114)، والتحرير والتنوير، مج(9)، ص(62).

المبحث الثاني: جوانب التمكين

المطلب الأول: شروط التمكين

للتمكين شروط بينها الله –عز وجل- في كتابه وهي:

أولاً: التوحيد:

إن أول الشروط التي اشترطها الله -عز وجل- لنيل التمكين في كتابه هو التوحيد، وهو نفي التعدد في ذات الله-سبحانه وتعالى- وصفاته وأفعاله، وإفراده بالعبادة[1].

وهو الشرط الرئيس لبلوغ تمكين حقيقي قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: 55].

وقد استنبط المفسرون أربعة أوجه من لفظة (يعبدونني) وهي ألاَّ يعبدون إلهاً غيري وألاَّ يراءون بعبادتي أحداً، وألاَّ يخافون غيري وألاَّ يحبون غيري [2].

وهذه الأوجه الأربعة التي تحتملها الآية تدخل في صلب التوحيد، فالذي يوحد الله لا يعبد غيره، قال تعالى: ﴿وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [يس: 61]

والذي يعبد الله لا يُرائي بعبادته أحداً، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: 2]، والإخلاص نقيض الرياء، فالرياء هو إظهار التعبد لأجل نيل رضى الناس، والإخلاص هو عبادة الله لأجل نيل رضاه وحده.

والذي يوحد الله لا يخاف غيره فالله كافيه، قال تعالى: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: 13]..) وقال: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: 36].

والذي يوحد الله لا يحب غيره وغير من ولاه ورضي عنه، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ..﴾ [البقرة: 165].

فالتوحيد جمع هذه المعاني كلها وهو الغاية التي من أجلها خلقنا، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]، وقال: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ...﴾ [محمد: 19].

---

[1] ينظر: شرح العقيدة الطحاوية للدمشقي، مج(1)، ص(21).

[2] ينظر: تفسير النكت والعيون للماوردي، مج(4)، ص (119).

وعندما اختل مفهوم التوحيد في نفوس المسلمين وانحرفوا عن حقيقته، إما بفعل الشركيات أو محبة أعداء الله وغيرها من هذه المفاهيم والأفعال الباطلة انتزع الله منهم التمكين، وسلط عليهم الأعداء، ولن يرفع الله عنهم هذا التسليط إلا إذا رجعوا لتحقيق العبودية الكاملة له -سبحانه وتعالى-.

ثانياً: الجمع بين الإيمان والعمل الصالح

إن الجمع بين الإيمان والعمل الصالح شرط من شروط التمكين الحقيقي، وقبل إيضاح هذا الشرط يجب علينا التعريف بهما لكي تتضح الصورة أكثر.

الإيمان:

إن الغاية من إرسال الرسل ودعوة الناس إلى التوحيد والإيمان بربهم، والإيمان أعم من التوحيد فهو كما قال ﷺ، "الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ"[1].

فالتوحيد شعب من شعبه وهو أعلاها مرتبة، والإيمان يكون بالتصديق بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالجوارح[2].

وقد بين الله عز وجل لنا حقيقة الإيمان في القرآن الكريم وبين أنه سبيل النجاة من الخسارة، فقال: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۞ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ...﴾ [العصر: 1-3].

قال الطبري: "إلا الذين صدّقوا الله ووحَّدوه، وأقرّوا له بالوحدانية والطاعة، واستثنى الذين آمنوا من الإنسان، لأن الإنسان بمعنى الجمع، لا بمعنى الواحد"[3].

وبين النبي ﷺ حقيقته في كثير من الأحاديث منها ما ورد جواباً عندما سأله السائل ما الإيمان؟ فقال ﷺ: "الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَلِقَائِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الآخِرِ"[4].

العمل الصالح:

إن العمل الصالح يتبع الإيمان وهما متلازمان فلا إيمان بدون عمل ولا عمل بدون إيمان، وجمع الله عز وجل بين الإيمان والعمل الصالح في أغلب الآيات القرآنية فقال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: 3]، أي الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح والصفات المذكورة في الصورة لهم النجاة من الخسارة ورضوان الله تعالى.

---

(1) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب عدد شُعَب الإيمان، مج(1)، ص(63)، الحديث رقم (35).

(2) ينظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية، مج(6)، ص(508).

(3) جامع البيان، مج(24)، ص(590).

(4) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: (إن الله عنده علم الساعة)، مج(6)، ص(115)، الحديث رقم(4777).

وقد أمر الله نبيه -ﷺ- في كتابه الكريم على حث المؤمنين على العمل الصالح فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: 110].

وخص الله من هذه الأعمال صالحة أربعة وهي: إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وربط بينها وبين التمكين، فقال: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: 41].

وخص الصلاة وقدمها في الذكر للاهتمام بشأنها وتنويها عن فضلها؛ لأنها عمود الدين وخير الأعمال إلى الله عز وجل كما قال النبي ﷺ: حينما سئل عن أفضل الأعمال فقال ﷺ: "الصَّلَاةُ لِوَقْتِهَا"[1]، ولما فيها من علاقة بين العبد وربه، فالعبد أقرب ما يكون إلى الله عز وجل وهو ساجد بين يديه.

وخص الزكاة؛ لأنها قرينة الصلاة ولما فيها من علاقة بين العباد، فالمنفِق من ينفق ماله ابتغاء وجه الله وابتغاء مرضاته، قال تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم: 39]، وقال في موضع آخر: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: 60].

وقد خص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنهما الركنان الواجبان اللذان أمر الله بهما جميع الأمم، وبهما وبغيرهما كانت أمتنا خير أمة أخرجت، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾ [آل عمران: 110]، وربط التمكين بها؛ لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على السلطان وعلى العلماء الذين يؤتونه، وسلطان ممكن بطبع[2].

فالجمع بين الإيمان والعمل الصالح شرط من شروط التمكين الحقيقي، وركن من أركانه، إذا اختل منهما شرط فقد الآخر ولما يتحقق الموعود المذكور، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا...﴾ [النور: 55].

قال الرازي: "فقد وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات أي الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح أن يستخلفهم في الأرض فيجعلهم الخلفاء والغالبين والمالكين ما استخلف عليها من قبلهم" [3].

---

[1] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإيمان بالله أفضل الأعمال، مج(1)، ص(89)، الحديث رقم(85).
[2] الجامع لأحكام القرآن، مج(12)، ص(73).
[3] مفاتيح الغيب، مج(24)، ص(412).

ثالثاً: الاستمرارية

وهي الاستمرار على الجمع بين الإيمان والعمل الصالح بعد التمكين، ويفهم هذا المعنى من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: 41]، أي: بعد تمكينهم في الأرض استمروا على ما كانوا عليه من الإيمان والعمل الصالح كما كان الصحابة رضوان الله عليهم، بعد تمكنوا استمروا في فعل الخيرات فاستمر تمكينهم وتابعيهم بإحسان من القرون العديدة. ومما سبق يتضح لنا أن الاستمرارية دليل على صدق قضية المُمَكّن، فلولا صدق قضيته لما استمر على ما كان عليه، فما كان لله دام واتصل وما كان لغيره انقطع وانفصل.

المطلب الثاني: أسباب التمكين

من حكم الله أن جعل لكل غاية سبباً يتوصل به لتلك الغاية، وعند النظر لقضية التمكين في القرآن الكريم وفي السنة النبوية نجد أن لها أسباب تساعد في بلوغه، وهذه الأسباب تطبق على مراحل، وسنحاول في هذا المطلب إظهار هذه الأسباب كما بينها القرآن الكريم، وهي:

أ) النية الجادة:

النية ركن الأعمال والميزان الذي يميز بين صحيح العمل من سقيمه، قال تعالى ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 162].

قال البيضاوي: "ومحياي ومماتي وما أنا عليه في حياتي وأموت عليه من الإيمان والطاعة، أو طاعات الحياة والخيرات المضافة إلى الممات كالوصية والتدبير، لله رب العالمين لا شريك له خالصة له لا أشرك فيها غيره"[1].

قال الرازي: "فقوله: قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين يدل على أنه يؤديه مع الإخلاص وأكده بقوله: لا شريك له وهذا يدل على أنه لا يكفي في العبادات أن يؤتى بها كيف كانت بل يجب أن يؤتى بها مع تمام الإخلاص"[2].

فلا يقبل الله من الأعمال إلا ما كان خالصا لوجه الكريم، فالنية السليمة هو المنطلق الأساس الذي ينطلق منه من يطلب التمكين، وإن صلحت النية صلح العمل وإن صلح العمل قبل، ووفق الله صاحبه.

---

[1] أنوار التنزيل، مج(2)، ص(191).

[2] مفاتيح الغيب، مج(14)، ص(191).

ب) إعداد العدة:

إن أعداد العدة من الأسباب الرئيسة التي يعول عليها في تحقيق التمكين، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ...﴾ [الأنفال: 60]

قال القرطبي: "أمر الله سبحانه المؤمنين بإعداد القوة للأعداء، وإن الله سبحانه لو شاء لهزمهم بالكلام والتفل في وجوههم وبحفنة من تراب، كما فعل رسول الله-صلى الله عليه وسلم-. ولكنه أراد أن يبتلي بعض الناس ببعض بعلمه السابق وقضائه النافذ، وكلما تعده لصديقك من خير أو لعدوك من شر فهو داخل في عدتك"[1].

وإعداد العدة له جوانب رئيسة منها الجانب المعنوي والعسكري، فمن حيث الجانب المعنوي إعداد أفراد يحملون القضية ويطبقونها على أرض الواقع كما فعل ذلك النبي-ﷺ-مع الصحابة رضوان الله عليهم، فقد أعدهم إعدادا ربانيا، فرباهم تربية سليمة من حيث سلامة الاعتقاد وحثهم على العمل ومكارم الأخلاق، ولم يترك خيراً إلا أرشدهم إليه، ولم يترك شراً إلا نهاهم عنه، لذلك تحقق على أيديهم التمكين واستمر لقرون من الزمن.

والإعداد العسكري لا يقل أهمية عن الإعداد المعنوي وهذا المراد من - القوة- في الآية الكريمة، وفي صحيح مسلم عن عقبة بن عامر-رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول: "﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ...﴾، ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي[2]".

قال النووي: "هذا تصريح بتفسيرها كما أورد المفسرون، ثم قال: وفيه وفي الأحاديث بعده فضيلة الرمي والمناضلة والاعتناء بذلك بنية الجهاد في سبيل الله تعالى، وكذلك المشاجعة وسائر أنواع استعمال السلاح، وكذا المسابقة بالخيل وغيرها - كما سبق في بابه- والمراد بهذا كله التمرن على القتال والتدرب، والتحذق فيه، ورياضة الأعضاء بذلك"[3].

ج) الإعلام:

الإعلام أو ما يعبر عنه في عصرنا -بالسلطة الرابعة- سبب مؤثر في نجاح التمكين من عدمه، وفي قصة موسى-عليه السلام- مع فرعون ما يدل على ذلك، قال تعالى على لسان فرعون وملائه: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا

---

[1] الجامع لأحكام القرآن، مج(8)، ص(35-36).

[2] رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي، مج(3)، ص(1522)، رقم الحديث(1917).

[3] المنهاج في شرح صحيح مسلم بن حجاج للنووي، مج(13)، ص(64).

لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى﴾ [طه: 57-58].

قال القرطبي: "لما رأى الآيات التي أتاه بها موسى قال: إنها سحر، والمعنى: جئت لتوهم الناس أنك جئت بآية توجب اتباعك والإيمان بك، حتى تغلب على أرضنا وعلينا، لنعارضنك بمثل ما جئت به ليتبين للناس أن ما أتيت به ليس من عند الله، فاجعل لنا يوما معلوما، أو مكانا معروفا، مستويا يتبين للناس ما بيناه فيه، **قال**: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ [طه: 59]، وهو يوم عيد كان لهم يتزينون ويجتمعون فيه، وخص الضحى؛ لأنه أول النهار، فلو امتد الأمر فيما بينهم كان في النهار متسع، وإنما واعدهم ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله، وظهور دينه، وكبت الكافر، وزهوق الباطل على رءوس الأشهاد، وفي المجمع الغاص لتقوى رغبة من رغب في الحق، ويكل حد المبطلين وأشياعهم، ويكثر المحدث بذلك الأمر العلم في كل بدو وحضر، ويشيع في جمع أهل الوبر والمدر"[1].

والشاهد من قصة أن فرعون أراد استغلال هذا الحدث الإعلامي للتأثير في الرأي العام، وأن سيدنا موسى -عليه السلام- اختار هذا اليوم لتجمع أكبر عدد من الناس فيه لإعلامهم بالحق، وكي تتضح حقيقة أمر ما جاء به دون تزييف أو تشويه، فكان ما أراد، وكان هذا الحدث بداية نزع التمكين من فرعون، وبمثابة بداية التمكين لموسى –عليه السلام- وبني إسرائيل، وكان الإعلام سبباً من أسباب التمكين لموسى -عليه السلام-.

وفي قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأنفال: 57].

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه -ﷺ- فإما تلقيَنَّ في الحرب هؤلاء الذين عاهدتهم فنقضوا عهدك مرة بعد مرة من قريظة، فتأسرهم، فافعل بهم فعلا يكون مشرِّدًا مَن خلفهم من نظرائهم، ممن بينك وبينه عهد وعقد، و"التشريد"، التطريد والتبديد والتفريق، وإنما أمِرَ بذلك نبيُّ الله -ﷺ- أن يفعل بالناقض العهد بينه وبينهم إذا قدر عليهم فعلا يكون إخافةً لمن وراءهم، ممن كان بين رسول الله -ﷺ- وبينه عهد، حتى لا يجترئوا على مثل الذي اجترأ عليه هؤلاء الذين وصف الله صفتهم في هذه الآية من نقض العهد"[2].

فأمر الله النبي -ﷺ- بالتنكيل بهؤلاء ليكونوا أعلاما للناس وعبرة لغيرهم، فلا يتجرأ حينها أحد عن نقض العهد، وبهذا يتضح أهمية الإعلام ومدى تأثيره على أرض الواقع، وأنه من الأسباب القوية

[1] ينظر: الجامع لأحكام القرآن، مج(11)، ص(311-314).

[2] جامع البيان، مج(14)، ص(22- 23).

لحصول التمكين، فيجب على الساعي لإرجاع التمكين إعطاء هذا السبب العناية كبيرة، وأن يكون له أعلام قوي يظهر قضيته بوضوح وإنصاف، ويبطل شبه الأعداء بالأدلة الدامغة، ويلقي في قلوب أعداءه الرعب حسيا ومعنويا.

د) الجهاد:

الجهاد هو ذروة سنام الإسلام، وخير الأعمال إلى الله، تجتمع فيه أسباب التمكين ويقوم به بنيانه وتثبت به أركانه، وإن أعظم ما يجود به المرء نفسه التي بين جنبيه، وأفضل القربات إزهاق الروح وبذلها في سبيل الله كما جاء في الحديث أن النبي -ﷺ- قال: «مَا مِنْ عَمَلٍ أَزْكَى عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا أَعْظَمَ أَجْرًا مِنْ خَيْرٍ يَعْمَلُهُ فِي عَشْرِ الْأَضْحَى». قِيلَ: وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ: «وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ»[1].

وقد وصفها الله تعالى بالتجارة، فالثمن النفس، والمشتري رب العالمين، والبائع العبد، والسلعة الجنة، والمكسب الفوز العظيم، قال تعالى :﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 111].

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: إن الله ابتاعَ من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بالجنة - وعدًا عليه حقًّا- يقول: وعدهم الجنة جل ثناؤه، وعدًا عليه حقًّا أن يوفّي لهم به، في كتبه المنزلة: التوراة والإنجيل والقرآن، إذا هم وَفَوا بما عاهدوا الله، فقاتلوا في سبيله ونصرةِ دينه أعداءَه، فقَتَلوا وقُتِلوا - ومن أوفى بعهده من الله-، يقول جل ثناؤه: ومن أحسن وفاءً بما ضمن وشرط من الله -فاستبشروا-، يقول ذلك للمؤمنين: فاستبشروا، أيها المؤمنون، الذين صَدَقوا الله فيما عاهدوا، ببيعكم أنفسكم وأموالكم بالذي بعتموها من ربكم به، فإن ذلك هو الفوز العظيم"[2].

وعند النظر إلى ما سبق ذكره من أسباب التمكين نجد أن بينها وبين الجهاد علاقة وثيقة، فهذه الأسباب تدخل تحت الجهاد.

فالنية لا تكون خالصة وسليمة إلا بمجاهدة النفس قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: 69].

---

[1] رواه الدارمي، كتاب الصوم، باب فضل العمل في العشرة، مج(2)، ص(1113)، رقم الحديث (1815)).

[2] جامع البيان، مج(14)، ص(498).

قال الألوسي: "وَالَّذِينَ جاهَدُوا فِينا في شأننا ومن أجلنا ولوجهنا خالصا، وأطلقت المجاهدة لتعم مجاهدة الأعادي الظاهرة والباطنة بأنواعهما (لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا) سبل السير إلينا والوصول إلى جنابنا، والمراد نزيدنهم هداية إلى سبل الخير وتوفيقا لسلوكها فإن الجهاد هداية أو مرتب عليها"[1].

وعند النظر إلى العُدة نجد أنها تحتاج إلى مال لإعدادها وهنا يتكفل الجهاد بالمال بتغطية هذا الجانب قال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: 41]

قال البيضاوي: "وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله بما أمكن لكم منهما كليهما أو أحدهما، ذلكم خير لكم من تركه، إن كنتم تعلمون الخير علمتم أنه خير، أو إن كنتم تعلمون أنه خير إذ إخبار الله تعالى به صدق فبادروا إليه"[2].

والجهاد بالمال أنواعه كثيرة، منها الإنفاق على الجيش وتجهيزه، كما جهز عثمان بن عفان رضي الله عنه جيش العسرة حيث جاء بألف دينار للنبي -ﷺ- فأصبح يقلبها ويقول: "ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم"[3].

وإعداد مجاهد وتهيئة أسباب الغزو له، قال - ﷺ-"من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازياً في سبيل الله بخير فقد غزى"[4].

وعند النظر للإعلام نجد أنه يدخل تحت الجهاد بالحجة واللسان، قال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: 52].

قال الطبري: "فلا تطع الكافرين فيما يدعونك إليه من أن تعبد آلهتهم، ولكن جاهدهم بهذا القرآن جهادا كبيرا، حتى ينقادوا للإقرار بما فيه من فرائض الله، ويدينوا به ويذعنوا للعمل بجميعه طوعا وكرها"[5].

والجهاد بالقرآن يقصد به إقامة الحجج ويكون ذلك باللسان، قال النبي -ﷺ-"جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم[1]".

---

[1] روح المعاني للألوسي، مج(11)، ص(15).

[2] أنوار التنزيل، مج(3)، ص(82).

[3] رواه الترمذي في سننه، أبواب مناقب عن رسول الله ﷺ، مج(6)، ص(626)،الحديث رقم(3701)، وقال: حديث حسن غريب.

[4] رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الجهاد، باب فضل من جهز غازيا وخلفه بخير، مج(4)، ص(27)، الحديث رقم(2843).

[5] جامع البيان، مج(19)، ص(281).

وتحريض المؤمنين للجهاد وترغيبهم فيه، وببيان ما أعده الله للمجاهدين من خير في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾ [النساء: 84].

قال ابن كثير: "وقوله: وحرض المؤمنين أي على القتال ورغبهم فيه وشجعهم عليه، كما قال لهم صلى الله عليه وسلم يوم بدر وهو يسوي الصفوف: "قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض"[2]، وقد وردت أحاديث كثيرة في الترغيب في ذلك"[3].

فالجهاد بأنواعه هو السبب التنفيذي الذي يطبق هذه الأسباب على أرض الواقع، وهو شعيرة عظيمة يتوصل بها إلى التمكين، فيجب على الساعي إلى التمكين دراسة هذه الأسباب، والعناية والعمل بها وفق تأصيل القرآن الكريم والسنة النبوية لها.

المطلب الثالث: الأسباب المؤدية لانتزاع التمكين

لقد بين الله -عز وجل- في كتابه الكريم أسباب انتزاع التمكين من الأمم السابقة لكي نعتبر بهم ولا نقع فيما وقعوا فيه، وفي هذا المطلب سأحاول إبراز هذه الأسباب، وهي كالآتي:

أ) الفساد العقدي:

إن الغاية من إرسال الرسل، إقامة الحجة على الناس، بدعوتهم إلى توحيد الله عز وجل، ونبذ الشرك عنه سبحانه، وهذا الأصل اتفق عليه جميع الرسل، فالرسل دعوتهم واحدة في الأصول التي هي العقيدة، والشرائع تختلف باختلاف الزمان والحكمة إلهية لكل زمن من الأزمنة[4]، قال تعالى :﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: 36].

قال ابن كثير: "فلم يزل تعالى يرسل إلى الناس الرسل بذلك منذ حدث الشرك في بني آدم في قوم نوح الذين أرسل إليهم نوح، وكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض إلى أن ختمهم بمحمد -صلى الله عليه

---

[1] رواه أحمد في مسند أنس بن مالك ،مج(19)، ص(272)، الحديث رقم(12246)، والحاكم في مستدركه، مج(2)، ص(91)، الحديث رقم(2427)، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه، ووافقه الذهبي.

[2] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، مج(3)، ص(1509)، الحديث رقم(1901).

[3] تفسير القرآن العظيم، مج(2)، ص(324).

[4] لطائف الإشارات، مج(1)، ص(547).

وسلم- الذي طبقت دعوته الإنس والجن في المشارق والمغارب، وكلهم كما قال الله تعالى:﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 25][1] .

ونجد أن هذه القضية هي القضية الأساسية التي بدأ بها جميع الرسل دعوتهم، لما فيها من صالح العباد، والأصل التي بنو عليه دعوتهم، قال تعالى لسان نوح -عليه السلام-: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ، أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [هود: 25-26].

وقال على لسان هود-عليه السلام-: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ [هود: 50].

وقال على لسان صالح -عليه السلام-: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ...﴾ [هود: 61].

وقال على لسان شعيب -عليه السلام-: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ...﴾ [هود: 84].

وعندما كفرت هذه الأقوام، وعتوا عن أمر ربهم، نزع من التمكين، وعذبهم الله في دنيا قبل الآخرة، قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 40].

وكان السبب الرئيس المشترك في نزع التمكين وإهلاكهم، هو شركهم بالله، وفساد عقائدهم، وجعل الله عز وجل إهلاكهم ونزع التمكين منهم عبرة وموعظة لغيرهم فقال: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: 67].

فيجب على الممكن عدم الوقوع في هذا المنزلق الخطير لكيلا يحدث له مثل ما حدث لهم.

ب) الفساد السياسي:

إضافة للسبب الرئيس الذي ذكرناه، يوجد أسباب أخرى، لا تقل خطورة عنه، ومنها الفساد السياسي، وهو فساد الحكام والوزراء والقضاة وغيرهم من أصحاب القرار، وعبر عنهم القرآن الكريم بلفظ الملأ أو الرهط، وهم كبار القوم.

وكان نتاج آرائهم الفاسدة، وقراراتهم الساذجة، وتأثيرهم في أقوامهم، سببا في هلاكهم وهلاك أقوامهم، ونزع التمكين منهم، ويتجلى هذا الأمر في قصة ثمود، فلما جاءهم صالح -عليه السلام-

[1] تفسير القرآن العظيم، مج(4)، ص(489).

بالآيات الواضحات كما طلبوا، اتخذوا في أحد اجتماعاتهم قراران، كانا هذان القراران سببا في هلاكهم وهلاك أقوامهم.

القرار الأول عقر الناقة، التي نهاهم نبي الله صالح -عليه السلام- عن قتلها فقال: ﴿وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ [هود: 64]، فأرسلوا أشقاهم فعقرها، قال تعالى: ﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ [الشمس: 12]، وقال في موضع: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: 77]. فنلاحظ في هذين الآيتين أن الفاعل واحد في الآية الأولى، ولكن نسب الفعل لهم في الثانية مما يدل على أمرين:

الأمر الأول: أنه كان هذا الأمر بعد تشاور وقرار منهم، وأرسلوا من ينفذه.

و الأمر الثاني: أن برضاهم عن هذا الفعل وتقريرهم إياه أنزلهم منزلة الفاعل[1].

والقرار الثاني جاء بعد الأول، بأن تجمع تسعة من الرهط -وهم رؤساء القوم- وقرروا قتل صالح -عليه السلام- وأهله غيلة، بعد ما أخبرهم بأن عذاب الله أتيهم لا محالة بعد ثلاثة أيام[2]، قال تعالى :﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود: 65].

فانطلق هؤلاء التسعة الذي وصفهم الله بالفساد فقال:﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ۝ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [النمل: 48-49] [3].

فكان نتيجة هذين القرارين، ليس هلاك الرؤساء فحسب، بل وهلاك قومهم معهم، لأنهم؛ رضوا بهذا العمل، قال تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ۝ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النمل: 50-51]، وكان الفساد السياسي سببا من أسباب نزع التمكين منهم وعذابهم، بالإضافة إلى السبب الرئيس وهو فساد عقيدتهم.

ج) الفساد المالي:

من أسباب نزع التمكين من الأمم السابقة، هو فسادهم المالي، الذي يعبر عنه بالفساد الاقتصادي، وقد بين الله هذا السبب عند حديثه عن قوم شعيب -عليه السلام-، فقد تغلغل هذا الفساد في قوم شعيب، قال تعالى على لسان شعيب: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ [الشعراء: 181]

---

[1] ينظر: بحر العلوم، مج(1)، ص(528).

[2] ينظر: بحر العلوم، مج(1)، ص(528).

[3] ينظر: النكت والعيون، مج(4)، ص(218-219).

قال الرازي: "أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وذلك لأن الكيل على ثلاثة أضرب واف وطفيف وزائد فأمر بالواجب الذي هو الإيفاء بقوله: وفوا الكيل ونهى عن المحرم الذي هو التطفيف ، ثم إنه لما أمر بالإيفاء بين أنه كيف يفعل فقال: وزنوا بالقسطاس المستقيم وهو الميزان، ولا تبخسوا الناس أشياءهم يقال بخسه حقه إذا نقصه إياه وهذا عام في كل حق يثبت لأحد أن لا يهضم وفي كل ملك أن لا يغصب عليه مالكه ولا يتحيف منه ولا يتصرف فيه إلا بإذنه تصرفا شرعيا ولا تعثوا في الأرض مفسدين وذلك نحو قطع الطريق والغارة وإهلاك الزرع، وكانوا يفعلون ذلك مع توليتهم أنواع الفساد فنهوا عن ذلك"[1].

فلم ينته قومه عن ذلك ولم يستجيبوا لدعوة شعيب علبه السلام واستمروا في طغيانهم بل وصل بهم التكبر والعتو بأن تجرؤ على شعيب عليه السلام بالاستهزاء به وبمن آمن معه قال تعالى على لسانهم: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: 87]

قال ابن كثير: "قالوا له على سبيل التهكم أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشؤا فنترك التطفيف على قولك وهي أموالنا نفعل فيها ما نريد ، إنك لأنت الحليم الرشيد يقولون ذلك أعداء الله على سبيل الاستهزاء"[2].

فلما أصروا على فسادهم العقدي والمالي أهلكهم الله عز وجل وقسم ظهورهم ونزع ملكهم قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ۞ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ [هود: 93-95].

د) الفساد الأخلاقي:

وكذلك الفساد الأخلاقي كان سبباً من أسباب هلاك هذه الأمم ونزع التمكين منها وقد بين الله هذا السبب عند حديثه عن قوم لوط، قال تعالى على لسان لوط عليه السلام: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ، أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ...﴾ [العنكبوت: 27-29].

قال ابن كثير: "يقول تعالى مخبرا عن نبيه لوط -عليه السلام- إنه أنكر على قومه سوء صنيعهم وما كانوا يفعلونه من قبيح الأعمال في إتيانهم الذكران من العالمين ولم يسبقهم إلى هذه الفعلة أحد من بني آدم قبلهم وكانوا مع هذا يكفرون بالله ويكذبون رسله ويخالفون ويقطعون السبيل أي يقفون في

[1] مفاتيح الغيب، مج(28)، ص(528).

[2] تفسير القرآن العظيم، مج(4)، ص(295).

طريق الناس يقتلونهم ويأخذون أموالهم وتأتون في ناديكم المنكر أي يفعلون ما لا يليق من الأقوال والأفعال في مجالسهم التي يجتمعون فيها لا ينكر بعضهم على بعض شيئا من ذلك[1].

ومع تحذير لوط -عليه السلام- المستمر لهم إلا أنهم أصروا على فعلهم ووصل بهم الحال بأن أمروا بطرد لوط -عليه السلام- قال تعالى على لسانهم: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: 56]

قال أبو السعود: "تعليلٌ للأمر بالإخراج ووصفهم بالتطهير للاستهزاء والسخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش والخبائث والافتخارِ بما هُم فيه من القذارة كما هو دين الشُطّار والدُعّار"[2].

فصارت الطهارة عندهم فعلاً مستقبحا لأنهم وصلوا أقصى مراتب الانحطاط الأخلاقي والانتكاسة الفطرية لذلك كانت عقوبتهم أشد العقوبات وعذبوا بأنواع العذاب لقبح أفعالهم قال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾ [الحجر: 73]، وقال في موضع آخر: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: 82-83].

فكان عاقبة فسادهم الأخلاقي هلاكهم، وجعلهم عبرة لمن خلفهم، وكان سببا في نزع تمكينهم وإعطاء التمكين لغيرهم.

المبحث الثالث: بعض نماذج التمكين في القرآن الكريم

إن القرآن الكريم تناول قصص ونماذج كثيرة عن التمكين وأنواعه، وفي هذا المبحث سأبين نموذجين مختلفين قصهم الله عز وجل في كتابه الكريم.

المطلب الأول: ذو القرنين

إن أحد الممكنين الذين تناول القرآن الكريم قصتهم هو ذو قرنين، واختلف المفسرون هل هو نبي أو أنه عبد صالح، وأكثرهم على أنه عبد من عباد الله صالحين، وقصته ذكرت في سورة الكهف قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: 83]

وقد جاء في الأثر أن اليهود لقيت نبيّ -ﷺ-، فتغَشَّوه وسألوه وقالوا: إن كان نبيّا علم، فسيعلم ذلك، فسألوه عن الروح، وعن أصحاب الكهف، وعن ذي القرنين، فأنزل الله في كتابه ذلك كله[3].

---

[1] المصدر السابق، مج(6)، ص(249).

[2] إرشاد العقل السليم، مج(3)، ص(246).

[3] ينظر: غرائب القرآن ورغائب القرآن للنيسابوري، مج(4)، ص(380).

قال تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ...﴾ [الكهف: 84].

قال ابن كثير: "إنا مكنا له في الأرض أي أعطيناه ملكا عظيما ممكنا فيه من جميع ما يؤتى الملوك من التمكين والجنود وآلات الحرب، ولهذا ملك المشارق والمغارب من الأرض، ودانت له البلاد، وخضعت له ملوك العباد، وخدمته الأمم من العرب والعجم"[1].

ففي هذه الآية يخبرنا الله -عز وجل- أنه مكن لذي القرنين في الأرض وهو أحد الأربعة الذين ملكوا الدنيا.

قال الطبري: "ملك الأرض مشرقها ومغربها أربعة نفر: مؤمنان وكافران، المؤمنان: سليمان بن داود وذو القرنين، والكافران: بختنصر والنمرود، وسيملكها خامس من هذه الأمة"[2].

﴿وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا۝ فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: 84-85]

قال الطبري: (وآتيناه من كل شيء)، يعني ما يتسبب إليه وهو العلم، وقوله (فأتبع سببا)، أي سلك وسار وهو خبر من الله تعالى ذكره عن مسير ذي القرنين في الأرض التي مكن له فيها، لا عن لحاقه السبب[3].

فجُمعت لذي القرنين الأسباب وتحققت فيه الصفات، فطاف في الأرض شرقا وغربا داعيا إلى الله عز وجلَّ عاملا بأهداف التمكين بإقامة العدل بين الناس ورَفْع الظلم عنهم، وقد ذكر الله عز وجل له في القرآن الكريم ثلاث رحلات.

ففي الرحلة الأولى اتجه نحو الغرب، قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا...﴾ [الكهف: 86].

والمراد من بلوغه مغرب الشمس هو وصوله لآخر نقطة في الغرب، وهذا إن دلَّ على شيء فإنه يدل على اجتهاده ومثابرته في العمل حتى بلغ بدعوته الآفاق، قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الكهف: 86].

قال الطبري: "إما أن تقتلهم إن هم لم يدخلوا في الإقرار بتوحيد الله، ويذعنوا لك بما تدعوهم إليه من طاعة ربهم، وإما أن تأسرهم فتعلمهم الهدى وتبصرهم الرشاد"[4].

ثم قال: ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا، وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى۝وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [الكهف: 87-88].

---

[1] تفسير القرآن العظيم، مج(5)، ص(171).

[2] جامع البيان، مج(5)، ص(433).

[3] المصدر السابق، مج(18)، ص(94).

[4] جامع البيان، مج(18)، ص(98).

قال البيضاوي: "قال: أما من دعوته فظلم نفسه بالإصرار على كفره أو استمر على ظلمه الذي هو الشرك فنعذبه أنا ومن معي في الدنيا بالقتل، ثم يعذبه الله في الآخرة عذاباً منكراً لم يعهد مثله، وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً وهو ما يقتضيه الإيمان، فَلَهُ في الدارين، جَزاءً الْحُسْنى فعلته الحسنى"[1].

وهذا منهاج الممكَّنين بإقامة حدود الله والدعوة إليه باستخدام أسلوب الترغيب والترهيب، وهو ما يجب أن يتحلى به الحاكم بأمر الله.

وفي الرحلة الثانية اتجه نحو الشرق حتى وصل إلى آخر نقطة فيه، التي عبر القرآن عنها بقوله: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا﴾ [الكهف: 90]، والقرآن الكريم لم يحدد المكان ولكن وصف طبيعته، وحال القوم الذين وجدهم ذو القرنين هناك.

قال البيضاوي: "(وَجَدَها تَطْلُعُ عَلى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِها سِتْراً)، من اللباس أو البناء، فإن أرضهم لا تمسك الأبنية أو أنهم اتخذوا الأسراب بدل الأبنية"[2].

﴿كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ [الكهف: 91]، فحكم فيهم ذو القرنين كحكمه في سابقيهم وهذا المفهوم قوله (كذلك)، ويدل على أن حكمه ثابت لم يتغير بتغير الأشخاص، وهذا عين العدل، ما يجب على الممكَّن فِعله ليستمر له التمكين، (وقد أحطنا بما لديه خبراً).

قال البيضاوي: "وقد أحطنا بما لديه من الجنود والآلات والعدد والأسباب، (خُبْراً)، علماً تعلق بظواهره وخفاياه، والمراد أن كثرة ذلك بلغت مبلغاً لا يحيط به إلا علم اللطيف الخبير"[3].

وفي الرحلة الثالثة:

قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ [الكهف: 93]

سار إلى مكان غير معروف الاتجاه، لكن الله -عز وجل- وصف لنا ذلك المكان بقوله: (حتى إذا بلغ بين السدين)، والسدين جبلين، ووجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا، ومعنى (لا يفقهون قولا): أي كانوا أصحاب لغة غريبة لم يعهدها ذو القرنين قَبلاً، ثم قال تعالى على لسانهم: (قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج ...) وهذا يدل على أن ذي القرنين لم يترك الدعوة إلى الله لمانع منعه بل اجتهد وثابر حتى فهم لغتهم[4].

---

[1] أنوار التنزيل، مج(3)، ص(292).

[2] المصدر السابق، مج(3)، ص(293).

[3] المصدر انفسه، مج(3)، ص(293-294).

[4] ينظر: تفسير القرآن العظيم، مج(5)، ص(171).

﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف: 94]، فقد طلب القوم من ذي القرنين مساعدتهم بأن يجعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج سدا يحميهم من فساد يأجوج ومأجوج وإعطائه المال مقابل هذا الطلب، فما كان جواب ذي القرنين إلا أن قال: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ...﴾ [الكهف: 95].

قال القرطبي: "أي ما بسط الله لي من القدرة والملك خير من خراجكم وأموالكم، ولكن أعينوني بقوة الأبدان، أي برجال وعمل منكم بالأبدان، والآلة التي أبني بها الردم وهو السد" [1].

وهذه صفة من صفات القائد الحكيم لا يسأل الناس أجرا مقابل الحق الذي يدعو إليه، وهذا ديدن الأنبياء والدعاة إلى الحق، ومثله قول سليمان -عليه السلام- (﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ...﴾ [النمل: 36].

﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: 95].

قال القرطبي: "وهذا تأييد من الله تعالى لذي القرنين في هذه المحاورة فإن القوم لو جمعوا له خرجا لم يعنه أحد ولوكلوه إلى البنيان ومعونته"[2].

﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف: 96].

فجمعوا له قطع الحديد وأمرهم بوضعها بين (الصدفين) أي: الجبلين، فأوقد فيها النار، حتى إذا صُهر الحديد أفرغ عليه (قطرا)، وهو النحاس يتخلل هذا الحديد، فكوَّن حاجزا منيعا استحال على أولئك القوم المفسدين أن يظهروه أو ينقبه[3]، قال تعالى: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ [الكهف: 97]

وهذا من فتح الله عليه أن هيأ له من الأسباب: من تفكير ومن تخطيط سليم وعلم وقوة، وأنه كان معه من الجنود والعُدَّة ما يُمكّنه من الوصول إلى هدفه، مع إتقان عمله على أكمل وجه.

ثم قال: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: 98].

فنسب الفضل كله لله، ولم يأخذه الكِبر أو الغرور بما عنده من أسباب كقول قارون عندما قال: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي..﴾ [القصص: 78]، بل فوَّض الأمر ونسب الأسباب كلها لله عز وجل، وهذا يدل على شكر الله، وتبرأ من قوته إلى قوة الله.

---

[1] الجامع لأحكام القرآن، مج(11)، ص(60).

[2] المصدر السابق.

[3] ينظر: مدارك التنزيل، مج(2)، ص(320).

وبهذه الآية خُتمت قصة أحد المُمَكَّنين في الأرض التي تناولها القرآن الكريم، وجعله أنموذجا يحتذِي به الساعي لنيل التمكين الحقيقي.

المطلب الثاني: فرعون

كما تناول القرآن الكريم نماذج للممكنين الصالحين، فقد تناول نماذج للممكنين الفاسدين، ومن بين هذه النماذج فرعون، فقد ملك مصر ومُكِّن له فيها واستمر تمكينه سنوات عديدة، ولكنه استكبر في الأرض واستعلى فيها فنزع الله سلطانه، وكان ذلك نتاج أسبابٍ وعواملَ أدت إلى هذا النزع.

كان فرعون ملكا على مصر في العهد الذي سبق موسى -عليه السلام-، فأفسد في الأرض وأهلك الحرث والنسل، واستعبد الناس وجعلهم شيعا، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ...﴾ [القصص: 4].

أي: علا واستكبر وتجبر في الأرض بملكه وسلطانه، وقسَّم الناس في أرض مصر إلى شيعٍ يؤيدونه وهم قومه، وفِرَق يستضعف طائفة منهم وهم بنو إسرائيل، فذبح أبناءهم الذكور، واستحيى نساءهم الإناث، أي جعلهن للخدمة إمعانا في إذلالهم[1].

قال تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: 4] أي: ممن يفسد في الأرض بقتله من لا يستحق منه القتل واستعبادِه من ليس له استعبادُه، وتكبره على عبادة ربّه[2].

فكان من أسباب نزع تمكينه: فساده في العقيدة وادعاؤه الربوبية، فقد قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: 24]، وقال أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي...﴾ [القصص: 38].

إضافة إلى ادعائه الربوبية فقد كفر برسول الله إليه، ورماه بتهمة السحر، وهدده بالسجن بعد ما جاءه بالآيات الواضحات وأقام عليه الحجة، وهذا ديدن الطغاة، قال تعالى على لسانه: ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: 29]

قال ابن كثير: "ولما قامت الحجة على فرعون بالبيان والعقل، عدل إلى أن يقهر موسى بيده وسلطانه، وظن أنه ليس وراء هذا المقام مقال"[3].

---

[1] ينظر: تفسير القرآن العظيم، مج(6)، ص(196).

[2] ينظر: جامع البيان، مج(19)، ص(516-517)، وأنوار التنزيل، مج (4)، ص(171).

[3] تفسير القرآن العظيم، مج(6)، ص(126).

وقال: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الشعراء: 34]، فحاول فرعون تضليل الناس وتزييف الحقائق بأن صوّر موسى أنه ساحر، ثم قال: ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الشعراء: 35]،

قال ابن كثير: "فرَوَّج عليهم فرعون أن هذا من قبيل السحر لا من قبيل المعجزة، ثم هيجهم وحرضهم على مخالفته والكفر به، وأراد أن يذهب بقلوب الناس معه بسبب هذا، فيكثر أعوانه وأنصاره وأتباعه، ويغلبكم على دولتكم، فيأخذ البلاد منكم، فأشيروا علي فيه ماذا أصنع به؟"[1].

قال الزمخشري: "فرعون لما أبصر الآيتين، وبقي لا يدرى أى طرفيه أطول، حتى زلّ عنه ذكر دعوى الإلهية، وحط عن منكبيه كبرياء الربوبية، وارتعدت فرائصه، وانتفخ سحره خوفا وفرقا، وبلغت به الاستكانة لقومه الذين هم بزعمه عبيده وهو إلههم: أن طفق يؤامرهم ويعترف لهم بما حذر منه وتوقعه وأحسّ به من جهة موسى -عليه السلام- وغلبته على ملكه وأرضه، وقوله إِنَّ هذا لَساحِرٌ عَلِيمٌ قول باهت إذا غلب ومتمحل إذا لزم تَأْمُرُونَ من المؤامرة وهي المشاورة، أو من الأمر الذي هو ضدّ النهى: جعل العبيد آمرين وربهم مأمورا لما استولى عليه من فرط الدهش والحيرة"[2].

﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [الزخرف: 54]، أي: استخف عقولهم فاستجابوا له وجعلوه إلها يعبد من دون الله، وذلك بأن دعاهم إلى الاعتراف له بالإلهية، فأجابوه إلى ذلك بقلة عقولهم وسخافة أذهانهم[3]، ولهذا قال: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ ...﴾ [القصص: 38]

وبلغ به الكفر واستخفافه لقومه بأن أمر هامان أن يبني له صرحا؛ وهو بناء شاهق فقال: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص: 38]، وذلك لأمرين:

أولا: تلميع صورته أمام قومه وإيهامهم بأنه إله مساوٍ لإله موسى، (أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى)، وهذا يدل على شدة استخفافه لقومه فدعاهم إلى الضلال فأطاعوه وكذَّبوا موسى فكانوا فاسقين.

ثانيا: محاولة تكذيب موسى -عليه السلام- لإثارة الرأي العام (وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ) وجمعه للسحرة بغية تكذيب موسى -عليه السلام- ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ [الأعراف: 111].

---

[1] تفسير القرآن العظيم، مج(6)، ص(126).

[2] الكشاف، مج(3)، ص(310).

[3] تفسير القرآن العظيم، مج(6)، ص(232).

وفساده السياسي من إساءة في أمور الرعية وتفريق الناس أحزابا وفرقا، كما عاونه في ذلك بطانته، وعلى رأسهم وزيره هامان الذي زيَّن له الباطل، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [القصص: 8].

أي مخطئين في كل شيء، ولم يكتف القرآن الكريم ببيان خطأ الرؤساء بل إن الخطأ قد تعدى إلى الجنود، فلولاهم ما ظلموا.

فلما اجتمعت هذه الأسباب والعوامل استدرجه الله -عز وجل- هو وجنوده ومن أطاعه من قومه، ووصل بهم الاستدراج إلى إخراجهم من أرضهم التي وصفها الله -عز وجل- بالمقام الكريم، قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ، وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء: 57-58]، فخرجوا من هذا النعيم إلى الجحيم، وتركوا تلك المنازل العالية والبساتين والأنهار والأموال والأرزاق، والملك والجاه الوافر في الدنيا [1].

فنزع الله ملكه وأغرقه وجنده وورث أرضهم وديارهم للقوم الذي كانوا يستضعفون، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: 59] ، وهذا إيفاء الوعد المذكور في قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: 5][2].

ومن تمام مكر الله لفرعون وقومه أن جعل سبب هلاكهم وعلى يدين القوم الذين استضعفهم لسنين، وليس ذلك فحسب بل جعله يربي من ينزع ملكه في بيته، قال تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [القصص: 8].

وكان عاقبته وعاقبة قومه الذين أطاعوه وخيمة، فأخذه الله وجنده فنبذهم في اليم وغشيهم من اليم ما غشيهم فأهلكه الله وهو في أوج جبروته وفي وسط جنوده، قال تعالى: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: 78]، وقال في موضع آخر: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: 40].

وجعلهم الله -عز وجل- نموذجا لمن كفر بآياته واستكبر عنها وعمل مثل عمله من طغيان في الأرض، وسفك للدماء، والاغترار بالملك والسلطان، وظن عدم الرجوع إلى الله، قال تعالى: ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ [القصص: 39].

قال السمرقندي: "استكبر فرعون عن الإيمان هو وقومه، بغير حجة ، وحسبوا أنهم إلينا لا يرجعون بعد الموت، عاقبناه وجنوده فأغرقناهم في البحر فانظر كيف كان عاقبة المشركين[1].

---

[1] تفسير القرآن العظيم، مج(6)، ص(129).

[2] المصدر السابق.

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ۞ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ [القصص: 40-42].

قال الطبري: "جعلنا فرعون وقومه أئمة يأتمّ بهم أهل العتوّ على الله والكفر به، يدعون الناس إلى أعمال أهل النار، ويوم القيامة لا ينصرهم إذا عذّبهم الله ناصر، وقد كانوا في الدنيا يتناصرون، فاضمحلت تلك النصرة يومئذ، وألزمنا فرعون وقومه في هذه الدنيا خزيا وغضبا منا عليهم، فحتمنا لهم فيها بالهلاك والبوار والثناء السَّيِّئ، ونحن متبعوهم لعنة أخرى يوم القيامة، فمخزوهم بها الخزي الدائم، ومهينوهم الهوان اللازم"[2].

وجعل إهلاكهم عبرة وآية لمن خلفهم قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: 66-67]).

قال ابن كثير: "(إن في ذلك لآية) أي: في هذه القصة وما فيها من عجائب ونصر والتأييد لعباد الله المؤمنين؛ لدلالة وحجة قاطعة وحكمة بالغة، ومع هذا ما آمن أكثر الناس بل كذبوا به وبرسله وكتبه وخالفوا أوامره وارتكبوا زواجره"[3].

الخاتمة

من خلال ما تناولناه في هذا البحث قد توصلت إلى بعض النتائج وهي:

- ورد لفظ التمكين صراحةً في ثمانية عشر موضعا في القرآن الكريم، ودارت معانيه حول خمسة معان، المكان، والقدرة، والتصرف، والمكانة، والملك، والاستقرار.
- التمكين له نوعان: نوع قد يحدث لمن لم تتوفر فيه الشروط والصفات وهو تمكين الاختبار، ونوع لا يحدث إلا لمن توفرت فيه الشروط والصفات وهو التمكين الحقيقي.
- تناول القرآن التمكين في مجمله كموضوع مستقل، قد يحصل للمسلمين وغير المسلمين.
- التمكين الحقيقي له ثلاث شروط: التوحيد والجمع بين الإيمان والعمل الصالح والاستمرارية، وإن اختل منها شرط تعذر الوصول إلى التمكين.
- التمكين يدخل ضمناً في كثير من موضوعات القرآن الكريم.
- إن التمكين الحقيقي له شروط وأسباب وصفات يجب تحصيلها للوصول إليه.

---

[1] ينظر: بحر العلوم، مج(2)، ص(609).

[2] جامع البيان، مج(19)، ص(583).

[3] تفسير القرآن العظيم، مج(6)، ص(122)،(131).

- الجهاد بأنواعه يعتبر أهم سبب يتوصل به إلى التمكين الحقيقي.
- إن التمكين الحقيقي لا يأتي بمحض الصدفة بل هو نتاج جهود مكثفة.
- التمكين الحقيقي له أهداف تطبق على أرض الواقع منها: إقامة العدل والدعوة إلى الله-عز وجل- ونحو ذلك.
- هناك أسباب أخرى تؤدي لنزع التمكين منها الفساد الاعتقادي والسياسي ونحو ذلك.
- ما نراه اليوم من تسلط الأعداء على المسلمين ونزع التمكين منهم، هو نتاج بُعْدِهم عن كتاب الله -عز وجل-، وعدم العناية والعمل به على الوجه الصحيح، ولو اعتنوا وعملوا به لوجدوا الحل، فالحل كائنٌ في القرآن الكريم وسنة خير المرسلين، فمن أراد الشفاء فعليه بالدواء.

التوصيات

يوصى البحّاث وطلبة العلم بمزيد الاهتمام والعناية بموضوعات القرآن الكريم، ونشر مفاهيمها الصحيحة وفق تأصيل القرآن الكريم لها. كما نوصي أنفسنا وجميع المسلمين بتقوى الله والاهتمام بدراسة ما في القرآن الكريم من موضوعات، ونخص منها: موضوع التمكين وتنشئة وتربية الأجيال القادمة عليه؛ لكي يساعدوا في تكوين نواة صالحة تسعى لإحياء التمكين الحقيقي للمسلمين.

كما نوصي أبناء الأمة بالرجوع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية والعمل بهما، وأن يكونوا جنداً من جنود الله يسعون جاهدين لإرجاع التمكين للأمة الإسلامية، وإرجاع هيبتها ومكانتها بين الأمم.

هذا ما يسر الله لنا كتابته في هذا البحث المتواضع، فما كان فيه من توفيق فهو من الله وحده، وما كان من تقصير أو خطأ فمن أنفسنا ومن الشيطان، والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم علي نبينا وقرة أعيننا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

ثانياً: كتب التفسير

إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو سعود أفندي، دار إحياء التراث العربي-بيروت، د.ط ،د.ت.

أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين البيضاوي، ت محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط1، 1418هـ .

التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر-تونس، 1984م، د.ط.

الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي، ت أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية-القاهرة، ط 2، 1384هـ/1964م.

الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل، أبو قاسم الزمخشري، دار الكتاب العربي-بيروت، ط3، 1407هـ .

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، ت عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية-بيروت، ط 1، 1422هـ.

النكت والعيون، أبو الحسن الماوردي، ت السيد ابن عبد المقصود، دار الكتب العلمية-بيروت، د.ط.

بحر العلوم، أبو الليث السمرقندي، ت علي محمد عوض، دار الكتب العلمية-بيروت، 1413هـ/1993م، د.ط.

تفسير القرآن الكريم، أبو الفداء ابن كثير، ت محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية-بيروت ط1، 1419هـ.

جامع البيان في تفسير آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، ت أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ.

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المعاني، شهاب الدين الألوسي، ت علي عبدالباري، دار الكتب العلمية-بيروت ط1، 1415هـ.

غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين النيسابوري، ت زكريا عميرات، دار الكتب العلمية- بيروت، 1416هـ، د.ط.

في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشرق-بيروت، ط 32، 1423هـ/2003م.

لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين الخازن، ت محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية-بيروت، ط1، 1415هـ.

لطائف الإشارات، عبد الكريم القشيري، الهيئة المصرية العامة للكتب-القاهرة، ط3، د.ت.

مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط 3، 1420هـ.

مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات النسفي، ت يوسف بديوي، دار الكلم الطيب-بيروت، ط1 1419هـ/1998م.

ثالثًا: كتب الحديث

الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل البخاري، ت محمد ناصر بن الناصر، دار طوق النجاة، ط 1، 1422هـ.

المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج القشيري، ت محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي-بيروت، د.ط، د،ت.

الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ﷺ ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل، أبو عيسى الترمذي، ت أحمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة مصطفى الحلبي- مصر، ط 2، 1395هـ/1975م.

مسند أحمد، أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، ت شعيب الأرناؤوط وعادل المرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط 1، 1421هـ/2001م.

المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم، ت مصطفى عطا، دار الكتب العلمية-بيروت، ط 1، 1411هـ/1990م.

سنن الدارمي، أبي محمد عبد الله الدارمي، ت حسين الداراني، دار المغني-الرياض، ط1412،1هـ،2000م.

مسند أبي يعلى، أبو يعلى الموصلي، ت حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث-دمشق ط 1، 1404هـ/1984م .

المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا النووي، دار التراث العربي-بيروت، ط 2، 1392هـ

إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، أبو عباس البوصيري، ت أحمد عبد الكريم، دار الوطن للنشر-الرياض، ط 1، 1420هـ/1999م.

سلسلة الأحاديث الصحيحة وشي من فقهها وفوائدها، ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف-الرياض، ط1، 1420هـ/1999م.

مشكاة المصباح، أبو عبد الله التبريزي، ت ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية-بيروت، ط3، 1995م.

رابعاً: كتب اللغة

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو ناصر الجوهري الفارابي، ت أحمد عطار، دار العلم للملايين-بيروت ط4، 1407هـ/ 1987م.

المعجم المفهرس في ألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث- القاهرة، 1364هـ/1954م، د.ط.

المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أبو عباس الفيومي، المكتبة العلمية-بيروت، د.ط، د.ت.

مقاييس اللغة، ابن فارس الرازي، ت عبد السلام محمد- دار الفكر- بيروت، 1399هـ/1979م.

خامساً: كتب متنوعة

التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم، لمحمد يوسف، دار السلام، مصر، الطبعة الثالثة ،2003م.

الخلافة، محمد رشيد رضا، مؤسسة الهنداوي، 2012، د.ط.

الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، دار الهلال- بيروت، ط1، د.ت.

الطبقات الكبرى، ابن سعد البصري، ت محمد عطا، دار الكتب العلمية-بيروت، ط1، 1410هـ/1990م.

الفتاوى الكبرى، تقي الدين ابن تيمية، دار الكتب العلمية- بيروت، ط 1، 1408هـ/1982م.

شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين أبي العز الحنفي الدمشقي، ت شعيب أرناؤوط وعبد الله التركي، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط 10، 1417هـ، 1997م.

فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، لعلي الصلاّبي، دار المعرفة، بيروت/لبنان، الطبعة الخامسة 1430هـ-2009م.

مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، ت محمد ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية-قطر، 1425هـ/2004م، د.ط.